١: ٤ اتجاهات التنوع الأحيائي الحيواني في المملكة:

بدأت علاقة الإنسان بالبيئة في شبه الجزيرة العربية منذ حوالي مائتي ألف عام من الزمان، وربما كان ذلك في ساحل تهامة لأول مرة. واستمرت أعداد السكان محدودة العدد والعدة من خلال الاعتماد الكلي على مواردها من الأحياء الفطرية النباتية والحيوانية ما يقرب من نصف هذه الحقبة الزمنية. وكانت شبه الجزيرة العربية في ذلك الزمن مروجاً وأنهاراً وأيكات وارفة الظلال تموج بأنواع الأحياء الفطرية التي تنتشر في جبالها وسهولها ووديانها.

وكانت هذه الأودية دائمة الجريان، وقد تكوَّن فيها عدد من البحيرات التي نمت من حولها أنواع متعايشة من النباتات يجول بينها أنواع متعددة من الظباء والحمر الوحشية والخيول البرية والإبل البرية والأفيال وأفراس النهر وغيرها. وتدل الدراسات التي أجريت على الأودية والبحيرات القديمة وبقايا النباتات والحيوانات التي عثر عليها في مناطق متعددة من شبه الجزيرة العربية على أنها كانت تحت تأثير فترات مطيرة متتالية كان آخرها منذ حوالي ٦٠٠٠ عام، وكانت المنطقة تشبه إلى حد كبير بيئات الأراضي العشبية المدارية (أراضي الأعشاب الطويلة) الموجودة اليوم في وسط إفريقيا، وتضم عدداً كبيراً من الأنواع الفطرية النباتية والحيوانية.

ومع بداية تغير المناخ من الرطوبة إلى الجفاف بدأ هذا التنوع الضخم من الأحياء الفطرية في التقلص مما ترتب عليه اختفاء كثير من هذه الأنواع مع سيادة الجفاف على المنطقة ومن ثم انقراضها كلياً من الجزيرة العربية. وقد ظلت العلاقة متوازنة بين السكان من البدو الرعاة، الذين كانوا يعتمدون أيضاً على صيد الحيوانات الفطرية لمقابلة احتياجاتهم الغذائية، وبين النظم البيئية الهشة متوازنة طيلة ثلاثة آلاف عام. ومع ازدياد أعداد السكان والقطعان ظهرت الحاجة إلى تنظيم موارد الرعي وتخصيص الموارد بما يكفل التغلب على سنوات القحط والجدب بسبب الجفاف وندرة سقوط الأمطار. ومن هنا نشأت فكرة إقامة الحمى التقليدي وتمت ممارستها بنجاح لحقبة زمنية طويلة.

وقد أقر الدين الإسلامي الحنيف الذي ظهر منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، نظام الحمى للمحافظة على الموارد الطبيعية. وهناك بعض التقديرات التي تقول إنه كان في المملكة العربية السعودية حوالي ثلاثة آلاف حمى في وقت من الأوقات. وتدل بعض الدراسات المسحية التي أجريت خلال عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) في جزء من جبال السروات حول منطقة الباحة، أن هناك ما لا يقل عن واحد وسبعين حمى أو شبه حمى مستقل، وأن كل قرية من قرى هذه المنطقة ترتبط بحمى واحد أو أكثر بشكل منفرد أو بالاشتراك مع قرية أخرى مجاورة لها.

وقد أظهرت الدراسات التي أجريت على الأحمية التقليدية تنوع الأهداف التي أُنشئت من أجلها، فمنها ما كان يمنع فيه الرعي وحش الأعلاف كلية ويسمح بها فقط في سنوات القحط والجدب كما هو الحال في حمى بني سار بالقرب من الباحة، ومنها ما كان يسمح بالرعي فيه وحش الأعلاف بعد نمو النباتات وذلك بشكل موسمي فقط مثل حمى الثمالة وحمى النمور، ومنها ما كان يمنع فيه الرعي وحش الأعلاف حتى يزهر

ويجرسه النحل لإنتاج العسل مثل حمى بني مالك وحمى المخاطة، ومنها ما كان مخصصاً لحماية الأشجار من الاحتطاب والاقتلاع مثل حمى وادى حريملاء في جبال طويق.

وقد مارس السكان الرعي بشكل رشيد طيلة الحقبة الزمنية الماضية، وكان سلوك الإنسان حتى عقود قليلة خلت، بما في ذلك أنشطته الاقتصادية التي كان يمارسها علي أراضيها ذات النظم البيئية الطبيعية الهشة وأراضي المراعي الهامشية، كان محكوماً إلي حد كبير بقدرة هذه النظم البيئية على الإنتاج والعطاء تحت ظروف درجات الحرارة العالية والجفاف وعدم انتظام سقوط الأمطار في الزمان والمكان. وكانت النظم البيئية الطبيعية متوازنة مع الأعداد المحدودة للسكان وقطعان المواشي الأهلية التي كانوا يعتمدون عليها في معاشهم إلى جانب الصيد المعتدل الذي كانوا يحصلون عليه من الطرائد الفطرية التقليدية.

وقد أدى عدم انتظام سقوط الأمطار في الزمان والمكان إلى تولد عادة "الترحال" لدى أهل البادية الذين كانوا يشكلون الغالبية العظمى من سكان المملكة آنذاك، فاضطروا إلى التنقل بقطعانهم محدودة الأعداد داخل مسافات محدودة وراء الكلأ والماء. وكذلك تولدت عادة الترحال بين الحيوانات الفطرية التي كانت بدورها تنتقل من مكان إلى آخر سعياً وراء الكلأ والعشب في المناطق التي حظيت بسقوط المطر عليها.

وكان من نتيجة استمرار هذا التوازن القائم بين إنتاجية النظم البيئية الطبيعية وبين استهلاك الإنسان وحيواناته الأهلية لها من جانب، واستهلاك الحيوانات الفطرية لها من جانب آخر، بقاء هذه النظم البيئية رغم هشاشتها وظروف الجفاف التي تتعرض له، لمدد تطول أو تقصر، سليمة منتجة فعالة تؤدي وظائفها في دعم الحياة وفي المحافظة على سلامة البيئة والموارد البيئية بشكل عام.

حمى بمنطقة الطائف

ثانياً: إنقاذ النمر العربي:

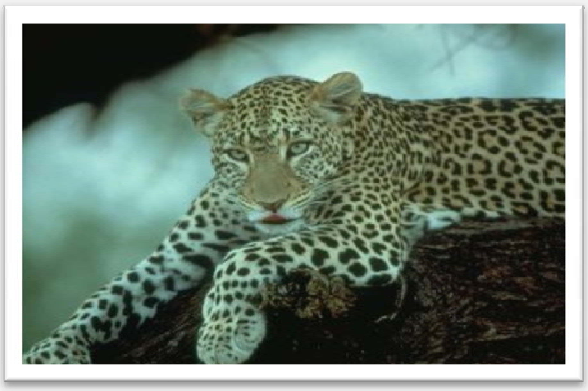

يعتبر النمر العربي من أندر الحيوانات البرية في المملكة العربية السعودية وباقي دول انتشاره الجغرافي. وهو وفق تصنيف الاتحاد العالمي للمحافظة (IUCN) مهدد بالانقراض. انحسر وجود هذه النمور بشكل كبير في العقود القليلة الماضية في بقع متناثرة في مواقع نادرة بجبال السروات والحجاز غرب المملكة. وللنمور دور مهم في المحافظة على التوازن الطبيعي للنظم البيئية وتوازن وسلامة القطعان البرية من فرائسها حيث تفترس المريض والضعيف وتترك القوي. وتستقطب مناطق وجود النمور الاهتمام المحلي والدولي لإجراء الدراسات العلمية على مناطق وجودها وتشجيع السياحة البيئية.

تتضمن أهم المخاطر التي تتهدد النمور القتل المباشر عبر التسميم، وتدهور أعداد فرائسها بالصيد الجائر، وتدمير مواطنها الطبيعية وتجزئتها بإنشاء الطرق العشوائية والمشروعات التنموية في قمم الجبال، وضعف الوعي العام بدورها البيئي وأهميته، إضافة إلى ضعف تطبيق التنظيمات والضوابط لحمايتها.

تضمنت جهود المحافظة برنامج إقليمي في دول الانتشار الجغرافي لهذا الحيوان في كل من الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والجمهورية اليمنية والأردن تترأسها المملكة. يهدف البرنامج لإكثار النمر العربي في المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف، وتأسيس لجنة النمور العربية. وقد تم الاتفاق على عقد ورشة عمل سنوية بالشارقة بالإمارات العربية المتحدة لمناقشة آخر المستجدات في برنامج الإنقاذ والمحافظة. صدر أيضا عدد خاص من مجلة أخبار القطط البرية الدولية عن أوضاعها السابقة والحالية في مناطق وجودها. واتفقت دول الإقليم على إستراتيجية إقليمية وخطط عمل وطنية للمحافظة على النمور العربية. وتطبق برامج توعوية تهدف إلى التوقف عن قتل النمور بشكل مباشر أو صيدها للاتجار بها أو تدمير بيئاتها، والحد من استخدام السموم في المواشي النافقة كوسيلة للقضاء على المفترسات الطبيعية كالنمور، إضافة إلى الحد من صيد الفرائس الطبيعية لها كالوبر والأرانب والطيور البرية والحجل العربي .

ثالثا: إعادة تأهيل وتوطين المها العربي:

قامت الهيئة بجهد كبير في مضمار التربية في الأسر، وذلك للأعداد الضئيلة جداً التي توفرت في بداية البرنامج، وأمكن إعادة توطين القطعان المتحصل عليها في مواطنها الطبيعية التي كانت قد اختفت منها. ومن أجل ذلك تم إنشاء كل من المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية في الطائف ومركز الملك خالد لأبحاث الحياة الفطرية في الثمامة ليأخذا على عاتقهما مهمة إكثار مجموعة المها العربي. نقلت نواة القطيع من الحيوانات الذي كان يحتفظ به جلالة الملك خالد طيّب الله ثراه في مزرعته بالثمامة، رغما عن أن جميع أفراد القطيع كانت مصابة بمرض التدرن إلى الحد الذي أوصى فيه جميع الخبراء العالميين الذين تم استشارتهم بالتخلص من القطيع فوراً عن طريق إعدام أفراده لصعوبة العلاج، وعدم جدواه عادة في مثل هذه الأحوال.

ومع ذلك وبعزم وإصرار تبنت الهيئة خطة للعلاج بالمضادات الحيوية مع التغذية الجيدة والرعاية البيطرية المكثفة، وقامت بعزل جميع العجول المولودة فور ولادتها، دون السماح لها بالرضاعة من أمهاتها، لتمنع إصابتها. وتم تربية هذه الأفراد صناعياً والإشراف عليها، واستمرت هذه العلمية لثلاثة أجيال متعاقبة أمكن خلالها تخليص القطيع والحمد لله من المرض الذي تم القضاء عليه نهائياً.

ولدينا الآن الجيلين الثالث والرابع (من نتاج المها العربي المريض) والذي أُعيد توطينها بنجاح تام في محميتي محازة الصيد وعروق بني معارض على مشارف الربع الخالي بعد إعطائهما الفرصة لنماء وازدهار الحياة النباتية تحت ظروف الحماية، ويمارس المها العربي المعاد توطينه حياته الطبيعية في المناطق المحمية حيث زادت أعداده زيادة ملحوظة.

رابعا : إعادة تأهيل طيور الحبارى :

تم جلب المخزون الأول من طيور الحبارى إلى المركز الوطني لأبحاث الحياة الفطرية بالطائف من داخل وخارج البلاد بفضل رخصة لجمع البيض من الأعشاش الطبيعية. وبعد جمع البيض بدأت عمليات التحضين والتفقيس الصناعية وبدأ إنتاج الفراخ. وأعطى مواسم التزاوج مؤشرات على نجاح تقنيات الرعاية والتربية والإنتاج. وفي موسم ٢٠٠٠م بلغ النجاح ذروته وتواصلت عمليات الإنتاج. ونحت تقنيات العملية ذاتها في مؤسسة الأمير سلطان بن عبدالعزيز لتنمية الحياة الفطرية بالمغرب. وهكذا كانت انطلاقة التفكير الجدي في اختيار المناطق التي يمكن أن يعاد فيها توطين الحبارى؛ فكان اختيار محمية محازة الصيد ومحمية سجا وأم الرمث حيث نجحت الهيئة خلال السنوات الأخيرة في إنتاج ما يفي لإعادة التوطين مستفيدين في المركز من التقنيين والبيطريين المحترفين وفريق من العلماء المؤهلين في علم الوراثة وعلم الأحياء الجزيئية حيث تهدف العملية إلى الإبقاء على حالة انعدام الأمراض وسط قطيع الحبارى وبالتالي إدخال الطيور المرباة في الأسر إلى البيئة البرية بدون حدوث خطر انتقال الأمراض.

وأمكن لخبراء المركز التغلب على مشكلة الخصوبة لدى طائر الحبارى، طريدة الصيد التراثية، باستخدام وسائل التلقيح الطبيعي والصناعي معا. واستخدم المركز نوعا الحبارى الأفريقية والآسيوية كل منها لإجراء دراسات محددة عليها حلت كثير من مشاكل التفقيس، والتغذية، الأمر الذي شجع التزاوج لأول مرة على مستوى العالم، وبالتالي إكثار الحبارى تحت الأسر. وزادت أعداد هذا الطائر في مسيجات المركز وفي محميتي محازة الصيد وسجا وأم الرمث لتزدهر وتجذب بدورها أعداداً أخرى من الطيور البرية وتشكل أسراباً متجانسة، تتكاثر طبيعياً في المحمية.